التوحيد في العبودية

المدرس الدكتور
علي مهدي رضا الخرسان
جامعة الكوفة / كلية الفقه

الملخص

التوحيد لله تعالى من جميع الجهات بانه واحد في ذاته ووجوب وجوده وان صفاته عين ذاته فهو في العلم والقدرة لا نظير له وفي الخلق والرزق لا شريك له فيجب توحيده في العبادة فلا تجوز عبادة غيره بوجه من الوجوه اما العبودية فإنها امتثالُ أوامرِ الله واجتنابُ نواهيه ، وفي كل كمال لا ند له فيجب توحيده في العبادة فلا تجوز عبادة غيره بوجه من الوجوه وكذا اشراكه في العبادة في أي نوع من انواع العبادات .

المقدمة

الحمد لله العلي القدير والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين رسول رب العالمين أبي القاسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وبعد: ينبغي على الباحث في الجانب العقدي التأهب اذ سيخوض غمار بحثه بصورة دقيقة وغير قابله للإخفاق إلا ما قل وندر كون الحديث يدخل في سياق الدين والمذهب ولهذا تولد لدي الاهتمام في خوض البحث في مسألة التوحيد، حيث قسم البحث على اربعة مباحث حيث كان الاول التعريف

بمفهوم البحث وجاء المبحث الثاني ليبتن التوحيد في الذات والصفات ومن بعدها جاء المبحث الثالث التوحيد في الخالقية والربوبية اما المبحث الرابع فقد كان بعنوان التوحيد في العبادة ومن بعدها ذكرت خاتمة البحث ومن ثم خاتمة المصادر.

المبحث الأول
التعريف بمفهوم البحث

قبل الدخول بموضوع البحث والتطرق له في ضوء المصادر والمراجع التي تحدثت عن مفرداته لابد من الإشارة الى بعض المفاهيم التي تخص البحث كي نتعرف على جذرها اللغوي وتعريفها الإصطلاحي ، ولهذا ستطرق إلى تعريف التوحيد في الجانبين اللغوي والاصطلاحي.

المطلب الأول
التوحيد في اللغة والاصطلاح

التوحيد لغة:

مصدر وحّد يوحد توحيداً، أي جعل الشيء واحداً ، وقد اشتق من وحد الشيء إذا جعله واحداً، فهو مصدر وحد يوحد، أي: جعل الشيء واحداً[١].

التوحيد اصطلاحاً :

هو إفراد الله تعالى في ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته وجاء تعريف التوحيد في الشرع قريباً على الإصطلاحي حيث عُرف إفراد الله – سبحانه – بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات ، وهذا التوحيد لا يكون إلا بنفي وإثبات وهما ركنا كلمة التوحيد لا إله (نفي) وإلا الله (إثبات) أي لا إله معبود بحق إلا الله [٢].

المطلب الثاني
العبودية في اللغة والإصطلاح

العبودية في اللغة:

التَّذَلُّل والخُضوع وأصلُ العُبوديةِ الخُضوعُ والذُّلُّ والتَّعبيد التَّذليل يقال طريقٌ مُعبَّد، والتَّعبيد أيضًا الاستعباد وهو اتِّخاذ الشَّخص عبدًا والعِبادة الطَّاعة والتَّنسُّك[٣].

العبودية في الإصطلاح :

هي اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يُحبُّه الله و يرضاه مِن الأقوالِ والأفعالِ الظَّاهرة والباطنة، ويُستفاد مِن هذا التَّعريف شُمولية معنى العِبادة لكلِّ حركاتِ العباد وسَكناتهم، فكلُّ فعلٍ أو تَرْكٍ من المكلفين يُمكن أن يكونَ عبادةً وقُربةً باستحضار النِّيَّة وقصد الطَّاعة منه وبموافقةِ الشَّرع في طريقة تطبيقه وأدائه [٤].

وقيل في تعريف العِبودية :إنها امتثالُ أوامرِ الله واجتنابُ نواهيه ويُنبِّه هذا التَّعريف على مسألةٍ خطيرةٍ، ألا وهي بيانُ مصدر تلقِّي الأوامر والنَّواهي المتعلِّقة بالعِبادة فليس لأحدٍ غير الله تعالى أن يشرع للعباد شعائر أو شرائع فلا يَحقُّ لأحدٍ مِن المخلوقين أن يشرع للنَّاس الشَّرائع، أو يضعَ لهم الأديان، لا عالِم، ولا أَمير، ولا شيخ قبيلة، ولا ولي، ولا غيره[٥]. وأجدُ في التعريفات السابقة تقاربًا بينهما حيث يذهب التعريفان إلى الخضوع والعبودية وغيرها من المعاني المتقاربة. تأتي العبودية في القرآن بمعاني

الطاعة والخضوع وقبول التشريع قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾(٦)

وجاء في مناسبة نزول الآية المباركة أن المشركين العرب كانوا يتقيدون بأنواع من القيود في المآكل والمشارب امتثالا لما أخترعه لهم الآباء والأجداد ، فلما جاء القران أبطل هذا كله وقال لهم إن كنتم تعبدوني وحدى فكلوا مما حللته لكم من الطيبات في تعبير قوله تعالى :﴿ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ أي إن كنتم منقادين لأمره سامعين مطيعين، فكلوا مما أباح لكم أكله وحلله وطيَّبه لكم، ودعوا في تحريمه خطوات الشيطان وهو الذي ندبهم إلى أكله ونهاهم عن اعتقاد تحريمه، إذْ كان تحريمهم إياه في الجاهلية طاعةً منهم للشيطان، واتباعًا لأهل الكفر منهم بالله من الآباء والأسلاف(٧).

المطلب الثالث
الإمامة في اللغة والاصطلاح

الإمام في اللغة :

من يقتدى به في أقواله وأفعاله، من رئيس أو غيره.(٨).

الإمام في الإصطلاح :

لا يختلف المعنى الاصطلاحيّ عن المعنى اللّغويّ، بإطلاقه الشّامل للمقتدى به عمومًا في مجال الخير والشّرّ، طوعًا أو كرهًا ويطلق على الإمام في الصلاة هو الذي تقتدي به جماعة المصلّين وتتابعه في أفعال الصلاة كالقيام والقعود والركوع والسجود (٩). ، إن الأهمية الكبيرة لبحث الإمامة في القرآن الكريم تنطلق من أمور عدة:

الأول: تعد الإمامة أصلا من أصول العقيدة عند الشيعة الإمامية، فهل يعقل ألا يتعرض لها القرآن الكريم بشكل واضح ولو بمقدار ما بالقياس إلى التوحيد والنبوة التي تناولها القرآن بتوسع.

الثاني: روي عن الإمام الصادق (ع) أنه قال : (من لم يعرف أمرنا من القرآن الكريم لم يتنكب الفتن) أي أن الموالي الذي لا يعرف إمامة أئمة من أهل البيت (ع) من آيات القرآن الكريم لا يستطيع تجاوز الفتن وقد ورد عنه (ع) أنه قال : (لو تلي القرآن حق تلاوته لوجدتمونا فيه مسمين) فلو تتبع الإنسان آيات القرآن ودقق فيها لوجد أن ذكر أئمة أهل البيت (ع) واضحا كما لو كانوا قد ذكروا بالاسم في الآيات الكريمة ، ومثل هذين النصين يفرضان على كل موال أن يدرس القرآن الكريم بهذا اللحاظ ، و يبذل وسعه في هذا السبيل.

الثالث: تركيز خصوم الشيعة على مسألة عدم وضوح عقيدة الإمامة في القرآن الكريم بحيث غدت من أهم الإشكالات التي تتكرر في كتبهم المتصدية لأصول مذهب أهل البيت (ع) (١٠).

حتى قال بعضهم :ونجد الامامة الا الاثني عشر ذكر صريحًا في كتاب الله كما ذكرت أركان الإسلام صريحة واضحة في مواضع متفرقة من كتاب الله من غير حاجة لمعرفة أصلها إلى تأويل باطني أو روايات

موضوعة ، والإمامة عندهم أعظم أركان الإسلام ، فكيف لا تذكر ولا يشار إليها ، أليس هذا دليلا على أن مزاعم الأمامية في هذا الباب لا أصل لها ؟ وحينئذ لابد من رفض هذه المزاعم لمناقضتها لكتاب الله (١١).

المطلب الرابع
الوهابية التاريخ والنشأة

نُسبت الفرقة الوهابية إلى محمد بن عبد الوهاب بن سليمان النجدي ، المولود سنة ١١١١ هـ ، والمتوفى سنة ١٢٠٦ هـ ، وكان هذا قد أخذ شيئًا من العلوم الدينية ، كما كان مولعا بمطالعة أخبار مدعي النبوة كمسيلمة الكذاب وسجاح والأسود العنسي وطليحة الأسدي ، فظهر منه أيام دراسته زيغ وانحراف كبير ، مما دعا والده وسائر مشايخه إلى تحذير الناس منه ، فقالوا فيه : سيضل هذا ، ويضل الله به من أبعده وأشقاه ، وفي سنة ١١٤٣ هـ أظهر محمد بن عبد الوهاب الدعوة إلى مذهبه الجديد ، ولكن وقف بوجهه والده ومشايخه ، فأبطلوا أقواله ، فلم تلق رواجا حتى توفي والده سنه ١١٥٣ هـ فجدد دعوته بين البسطاء والعوام فتابعة حثالة من الناس ، فثار عليه أهل بلده وهموا بقتله ، ففر إلى العيينة وهناك تقرب إلى أمير العيينة وتزوج أخت الأمير ، ومكث عنده يدعو إلى نفسه وإلى بدعته ، فضاق أهل العينية منه ذرعا فطردوه من بلدتهم (١٢) ، فخرج إلى الدرعية شرقي نجد ، وهذه البلاد كانت من قبل بلاد مسيلمة الكذاب التي انطلقت منها أحزاب الردة ،فراجت أفكار محمد بن عبد الوهاب في هذه البلاد واتبعه أميرها محمد بن سعود ، واهلها عامة وكان في ذلك كله يتصرف وكأنه صاحب الاجتهاد المطلق ، فهو لا يعبأ بقول أحد من أئمة الاجتهاد لا من السلف ولا من المعاصرين له ، هذا ولم يكن هو على الحقيقة ممن يمت إلى الاجتهاد بصلة ، هكذا وصفة أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ، وهو أعرف الناس به ، وقد ألف كتابًا في إبطال دعوة أخيه وإثبات زيفها ، ومما جاء فيه عبارة موجزة وجامعة في التعريف بالوهابية ومؤسسها ، قال : فيها :(اليوم أبتلي الناس بمن ينتسب إلى الكتاب والسنة ويستنبط من علومهما ولا يبالي : من خالفه ، ومن خالفه فهو عنده كافر ، هذا وهو لم يكن فيه خصلة واحدة من خصال أهل الاجتهاد ، ولا والله ولا عشر واحدة) ، ومع هذا راج كلامه على كثير من الجهال(١٣) .

وبهذا الطرح الذي قدمه الشيخ سليمان شقيق المنحرف الملعون محمد عبد الوهاب إذ نجد إجماع على انحرافه وخروجه عن الصراط ، ولكن ما مكنه من دعوته الفاسدة المناخ الموبوء الذي كان موجود في شرق نجد

أصول الفكر الوهابي.

للفرقة الوهابية جذران وهدفان الأول معلن والآخر خفي:

أما المعلن ، فهو إخلاص التوحيد لله ، ومحاربة الشرك والأوثان ولكن ليس لهذا الأصل ما يصدقه من واقع الحركة

الوهابية.

وأما الخفي ، فهو تمزيق المسلمين وإثارة الفتن والحروب فيما بينهم خدمة للمستعمر الغربي وهذا هو المحور الذي دارت حوله جهود الوهابية منذ نشأتها وحتى اليوم فهو الأصل الحقيقي الذي سخر له الأصل المعلن من أجل إغواء البسطاء وعوام الناس فلا شك أن شعار (إخلاص التوحيد ومحاربة الشرك) شعار جذاب سيندفع تحته أتباعهم بكل حماس، وهم لا يشعرون أنه ذريعة لتحقيق الأصل الخفي، ولقد اثبت المحققون في تاريخ الوهابية أن هذه الدعوة قد أنشئت في الأصل بأمر مباشر من المستعمرات بتفرعاتها الامبريالية وغيرها [١٤].

ومن هنا تتأت العبثية الوهابية اذ ركزت دائما على مناطق رخوه فكريًا لزرع انطباعاتها المريضة ودس السموم والدسائس وهي مرحلة مكملة للإسلام الأموي الذي بقت افكاره ودسائسه تركز على ثقافة الأمم محاولة إخفاء معالم الدين الحقيقي وتثبيت الدين السلطوي من خلال نفوذهم الذين باعوا الآخرة بالدنيا مقابل منصب واموال.

مصادر الفكر الوهابي

قسمت الوهابية العقائد على قسمين :

الأول : ما ورد فيه نص في الكتاب أو السنة. فزعموا أن هذا يأخذونه من الكتاب والسنة مباشرة، دون الرجوع إلى اجتهاد المجتهدين في معناه، سواء كانوا من الصحابة أو التابعين أو غيرهم من أئمة الاجتهاد.

الثاني : ما لم يرد فيه نص. وزعموا أنهم يرجعون فيه إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل وابن تيمية. لكنهم أخفقوا في الأمرين معًا، ووقعوا في التناقض وارتكبوا المحذور [١٥].

المبحث الثاني

المطلب الأول
التوحيد في الذات والصفات

أولاً:- البرهان على بساطة ذاته تعالى .

يقول الكثير من الناس ان معني توحيد الذات هو ان الله واحد و ليس اثنين وهذه العبارة غير صحيحة و غير مطابقة لما ورد في الرواية عن امير المؤمنين (ع) لان مفهومها الواحدي العددي (اي ان يتصور الثاني لله عز وجل و لكن لا وجود خارجي له) و من المسلم ان هذا الكلام غير صحيح و الصحيح ان يقال : ان توحيد الذات ان الله واحد و لا يتصور الثاني ، و بعبارة اخري : ان الله لا شبه له و لا نظير و لا مثيل ، فلا يشبه شيء ، و لا هو يشبه شيئا لان هذا الوجود اللامتناهي الكامل هو الذي يتصف بهذه الصفة [١٦].

وإذا نقرأ في حديث عن الامام الصادق (ع) حينما سال أحد اصحابه: اي شيء الله أكبر؟ فأجاب: الله أكبر من كل شيء، ثم قال الامام (ع) فكان ثم شيء فيكون اكبر منه؟! فقال: فما هو(ما المراد من هذه الكلمة)؟ فأجاب: الله اكبر من ان يوصف [١٧].

ثانيـاً:- دلائل وحدانية.

حيمـا نقـول ان توحيـد الصفـات هـو فـرع مـن فـروع التوحيـد فـان مفهومـه هـو: كمـا ان ذات الله عـز وجـل ابديـة و ازليـة فـان صفاتـه كالعلـم و القـدرة و امثالهـا ازليـة و ابديـة ايضـاً، هـذا مـن جهـة و مـن جهـة اخـرى، هـذه الصفـات ليسـت زائـدة علـى ذاتـه فـلا يوجـد بهـا عـارض و معـروض بـل هـي عيـن ذاتـه.

و مـن جهـة ثالثـة لا تفصـل الصفـات عـن بعضهـا، اي ان علمـه و قدرتـه شـيء واحـد و الاثنـان عيـن ذاتـه -عندمـا نراجـع انفسـنا نـرى اننـا كنـا نفتقـد الكثيـر مـن الصفـات، فلـم نملـك حيـن الـولادة علمـا و لا قـدرة و لكـن هـذه الصفـات نمـت فينـا تدريجيـا و لـذا نقـول ان هـذه امـور زائـدة علـي ذواتنـا ، و لـذا يمكـن ان يمـر بنـا اليـوم الـذي نفقـد فيـه القـوة العضليـة و العلـوم و الافـكار التـي نملكهـا و نـري بوضـوح ايضـا ان علمنـا و قدرتنـا منفصلتـان فالقـدرة الجسـمية في عضلاتنـا و لكـن العلـم موجـود في الـروح- و لا يتصـور في الله اي معنـى مـن هـذه المعـاني ، فذاتـه واحـده ،و نسـلم طبعـا بـان تصـور هـذه المعـاني ـ بالنسـبة لنـا نظـرا لفقدانـا لهـذه الصفـة ـ معقـد و غيـر مألـوف و لا سـبيل اليـه الا قـوة المنطـق و الاسـتدلال الدقيـق و اللطيـف.[١٨]

ويعنـي ان كل وجـود وكل حركـة وكل فعـل في العالـم يعـود الـي ذاتـه المقدسـة، فهـو مسـبب الاسـباب وعلـة العلـل، حتـى الافعـال التـي تصـدر منـا هـي في أحـد المعـاني صـادرة عنـه. فهـو الـذي يمنحنـا القـدرة والاختياروحريـة الارادة، ومـع اننـا نفعـل الافعـال بأنفسـنا،واننا مسـؤولون تجاهها.فالفاعـل مـن جهـة هـو الله سـبحانه لان كل مـا عندنـا يعـود اليـه (لا مؤثـر في الوجـود الا الله)[١٩]

ثالثـاً:- التوحيـد الذاتـي في القـرآن والسـنة يعنـي انـه (عزوجـل) تجـب عبادتـه وحـده دون سـواء و لا يسـتحق العبـادة غيـره، لان العبـادة يجـب ان تكـون لمـن هـو كمـال مطلـق، و مطلـق الكمـال لمـن هـو غنـي عـن الاخريـن و لمـن هـو واهـب النعـم و خالـق كل الموجـودات و هـذه صفـات لا تجتمـع الا في ذات الله سـبحانه. والوجـود اللامتناهـي ، هـو السـعي لأثـارة النفـس بقبـس مـن صفـات كمالـه و جمالـه. و ينتـج عـن ذلـك الابتعـاد عـن الاهـواء و الشـهوات والاتجـاه نحـو بنـاء النفـس و تهذيبهـا. هـذا الهـدف لا يتحقـق الا بعبـادة الله و هـو الكمـال المطلـق.[٢٠]

المطلب الثاني
التوحيد في الصفات

اولاً:-اقسام التوحيد

بـدءاً وقبـل ان نخـوض في بحـث الصفـات الالهيـة لابـد ان نشـير الـى ان هـذا البـاب يتعلـق بعقيـدة التوحيـد الـذي هـو أحـد الأصـول العقائديـة الخمسـة للشـيعة الأماميـة وكذلـك المعتزلـة . والفـرق بيـن الاصـل العقـدي والفـروع ان الاصـول مـن خـرج عنهـا خـرج مـن دائـرة الاسـلام، إذ مـن لـم يؤمـن يتوحـد الله أو عدلـه كان كافـراً علـى العكـس مـن لـم يؤمـن بالفـروع كالصـلاة والصـوم فـإن تاركهـا يسـمى فاسـقًا وليـس كافـراً ، أي انـه لازال قابـع في دائـرة الاسـلام ولـو عـن طريـق

التنظير .

والتوحيد المقصود منه إثبات وجود الله الخالق لهذا الكون ، وانه واحد لا شريك له . فهنا نقطتان يتم البحث فيهما:

النقطة الأولى: إثبات الإله الخالق للكون وأن الكون لم يوجد صدفة ومن دون خالق.

النقطة الثانية: خالق الكون اله واحد لا شريك له . والدليل عليه انه لو كان هناك عدة الهة . وكل إله مستغن عن غيره لتعارضت إرادات الالهية ، وانهار نظام التكوين ومسدت السماء والارض [٢١].

وتعتقد الأمامية بانه يجب توحيد الله تعالى من جميع الجهات ، فكما يجب توحيده في الذات ونعتقد بانه واحد في ذاته ووجوب وجوده ، كذلك يجب ثانيـًا – توحيده في الصفات ، وذلك بالاعتقاد بان صفاته عين ذاته . بالاعتقاد بانه لا شبه له في صفاته الذاتية [٢٢]. فهو في العلم والقدرة لا نظير له ، وفي الخلق والرزق لا شريك له ، وفي كل كمال لا ند له . وكذلك ثالثـًا – توحيده في العبادة فلا يجوز عبادة غيره بوجه من الوجوه [٢٣].

وذهب محمد بن عبد الوهاب الى تعريف التوحيد بانه (العلم والاعتراف بان الله ذو الأولية والعبودية على خلقه اجمعين ، وافراده وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين لله وحده ، وهذا الاخير يستلزم القسمين الأوليين ويتضمنها ، لان الألوهية التي هي صفة تعم اوصاف الكمال وجميع أوصاف الربوبية والعظمة ، فإن المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال ، ولما اسداه الى خلقه من الفواضل والأفضال ، فتوحده تعالى بصفات الكمال وتفرده بالربوبية يلزم منه أن لا يستحق العبادة أحد سواه)[٢٤].

وكذلك ذهب الى ان التوحيد المطلق : (هو العلم والاعتراف بتفرد الرب بصفات الكمال ، والاقرار بتوحده بصفات العظمة والجلال ، وإفراده وحده بالعبادة ، وهو اعتقاد انفراد الرب جل جلاله – بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة ، والجلال والجمال التي لا يشاركها فيها مشارك بوجه من الوجوه ، وذلك بإثبات ما اثبته الله لنفسه ، أو اثبته له رسوله (ص) من جميع الاسماء والصفات ومعانيها واحكامه)[٢٥].

الثاني: توحيد الربوبية بان يعتقد العبد ان الله هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير الذي ربى جميع الخلق بالنعم وربى خواص خلقه بالعقائد الصحيحة [٢٦].

الثالث: توحيد الالهية ويقال له توحيد العبادة [٢٧].

وتوجد هناك تقسيمات متعددة للصفات منها ان تقسم صفات الله سبحانه الى جمالية وجلالية ، أو بتعبير اخر الى صفات ثبوتية تثبت لله ، واخرى سلبية تنزه عنها سبحانه . ومن الواضح ان التوحيد يدخل في عداد الصفات السلبية التي تعني نفي الشريك عن الله وذلك على غرار نفي الجمل عنه وتنزيهه عن الجسمية ونحو ذلك من الصفات السلبية [٢٨].

وفي هذا السياق ربما كان في قوله تعالى :

﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾[٢٩] إشارة الى هذين النمطين من الصفات حيث (الإكرام) إشارة الى الصفات الثبوتية و (الجلال) إشارة الى الصفات السلبية [٣٠].

ويرى ابن تيمية ان جميع ما ورد في الصفات من الآيات والاحاديث يجب ان تفهم على ظاهرها وما يؤديه اللفظ من بلا تأويل . وعلى هذا قال : ان الله تعالى في جهة واحدة هي جهة الفوق ، وهي في مستوى على اربعة اصابع ، وأنه ينزل الى السماء الدنيا ثم يعود ، وان له اعضاء وجوارح من اعين وايدٍ وأرجل وغاية ما في الامر انها لا تشبه جوارح البشر وسائر المخلوقات [٣١].

ثانيا:-الصفات الثبوتية

والصفات الثبوتية الاضافية ، كالخلقية والرازقية والتقدم والعلية ، فهي ترجع في حقيقتها الى صفة واحدة حقيقية وهي القومية ، وهي صفة واحدة تنتزع منها عدة صفات باعتبار اختلاف الاثار والملاحظات [٣٢]. إن مدلول الكثير من البراهين الفلسفية معنون بعنوان (واجب الوجود) وبإضافة البراهين تثبت له الصفات الثبوتية والسلبية ، ولا بد ان تثبت الصفات الثبوتية الإلهية لتتضح لنا صلاحيته للعبارة فهي بمثابة التمهيد لباقي الأصول (العدل ، الثبوت ، الامامة ، المعاد) . إن هناك صفتين ثبوتيتين لواجب الوجود : الاولى : عدم احتياجه لأي موجود اخر ، الثانية : إن ان الموجودات الممكنة الوجود معلولة ومحتاجة اليه ، وهو العلة الاولى لوجودها وحدوثها [٣٣].

ومن هنا نثبت لواجب الوجود صفتين من صفاته :

الاولى : أوليته : وانه لم يسبق له العدم في الماضي .

الثانية : أبديته : انه في المستقبل لن يكون معدوماً ابداً ، واحياناً يعبر عن كلتا الصفتين بالسرمدي [٣٤]. فلا يمكن إذن ان نفترض له – عز وجل – ابتداء وانتهاء بحيث يبدأ من نقطة معينة وينتهي عند نقطة بعينها ايضاً [٣٥]. إن بين ايدينا مفهومين في هذا المجال هما مفهوم (الأزلي) و (السرمدي) الأول يشير الى طرف الابتداء فيما يشير الثاني الى طرف الانتهاء [٣٦]. يقول الشهرستاني في الملل والنحل : إن جماعة كثيرة من السلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات ازلية . من العلم ، والقدرة ، والحياة ، والارادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والجلال ، والإكرام ، والإنعام والعزة والعظمة [٣٧].

وكانت جماعة كثيرة من السلف لا يفرقون بين صفات الذات و صفات الأفعال ، بل يسوقون الكلام سوقاً واحداً ، وكذلك يثبتون صفات خبرية مثل : اليدين و الوجه ولا يؤلون ذلك الا انهم يقولون هذه صفات قد وردت في الشرع ، فيسمونها صفات خبرية [٣٨] .

ولما كانت المعتزلة ينفون الصفات ، و السلف يثبتون ، سمي السلف (صفاتيه) و المعتزلة (معطلة) [٣٩] .

١-الثبوتية : إذا صفات لله عز و جل هي الصفات الذاتية كالحياة ، و العلم و القدرة ،

و « إن الصفات التي تنسب الى الله عز و جل ، إما انها مفاهيم مشتركة من الذات الالهية بالنظر الى انها واجدة لنوع من الكمالات ، أمثال الحياة و العلم و القدرة ، وإما انها مفاهيم تنتزع من نوع العلاقة و الارتباط بين الله و مخلوقاته امثال الخالقية و الرازقية و اطلق على القسم الأول الصفات الذاتية ، و على القسم الثاني الصفات الفعلية « [٤٠] .

« و الفرق الرئيسي بين هذين القسمين من الصفات هو أنه القسم الأول تكون الذات الإلهية المقدسة مصداقاً عينياً لها ، أما في القسم الثاني فتعبر عن نوع نسبه و اضافة بين الله و مخلوقاته « [٤١] .

ثالثا:- الصفات السلبية

الصفات السلبية التي تسمى بصفات (الجلال) ، فهي ترجع جميعها الى سلب واحد هو سلب الامكان عنه ، فإن سلب الامكان لازمه ، بل معناه سلب الجسمية والصورة والحركة والسكون والنقل والخفة وما الى ذلك ، بل سلب كل نقص . ثم إن مرجع سلب الإمكان في الحقيقة الى وجوب الوجود ، ووجوب الوجود من الصفات الثبوتية الكمالية ، فترجع الصفات الجلالية (السلبية) اخر الامر الى الصفات الكمالية (الثبوتية) والله تعالى من جميع الجهات لا تكثر في ذاته المقدسة ولا تركيب في حقيقة الواحد الصمد)[٤٢].

ولا يقتضي العجب من قول من يذهب الى رجوع الصفات الثبوتية الى الصفات السلبية ، لما غير عليه ان يفهم كيف ان صفاته عن ذاته ، فتخيل ان الصفات الثبوتية ترجع الى السلب ليطمئن الى القول بوحدة الذات و عدم تكثرها فوقع بما هو أسوأ ، إذ جعل الذات التي هي عين الوجود و محض الوجود ، و الفاقدة لكل نقص جهة إمكان ، جعلها عين العدم و محض السلب [٤٣].

فهنالك صفة اخرى من لوازم واجب الوجود هي: البساطة و عدم التركيب من اجزاء، ذلك للأن كل مركب محتاج لأجزائه، وواجب الوجود منزه عن كل احتياج [٤٤] .

وإذا افترض بأن اجزاء واجب الوجود ليست موجودة بالفعل ، بل أن اجزاءه ، كشفي للخط الواحد ، فمثل الافتراض باطل ايضاً ، وذلك لان الشيء له اجزاء بالقوة ، قابل للانقسام عقلاً ، وإن لم يتحقق الانقسام بالخارج .ومعنى إمكان الانقسام ، إمكان زوال الكل و انعدامه ، كما ان الخط الذي طوله متر واحد ، لو قسمناه الى شقين ، لا يبقى خط طوله متر واحد [٤٥].

وكذلك بنفي جسميته تسلب من واجب الوجود سائر خواص الاجسام ، امثال كونه في مكان او زمان ، وذلك لان المكان انما يتصور للشيء الذي له حجم و امتداد ، وكذلك كل شيء مكاني هو قابل للانقسام من حيث الامتداد و العمر الزماني ، ويعتبر هذا نوعا من الامتداد و التركيب من الأجزاء بالقوة ن وبذلك نثبت أنه لا يمكن ان نتصور لله تعالى أي مكان او زمان ، وايضاً ان كل موجود مكان او زماني ليس بواجب الوجود ، واخيراً يسلب الزمان

و المكان من واجب الوجود ، تسلم منه الحركة و التحول و التكامل ، وذلك لأن أي حركة او تحول لا يمكن ان تتم من دون زمان [٤٦].

إذن فأولئك الذين اثبتوا لله مكانًا كالعرش او نسبوا له الحركة و الهبوط من السماء ، او اعتقدوا بأنه قابل للرؤية بالعين ، أو انه قابل للتحول و التكامل ، وهم جماعة من اهل السنة – لم يعرفوا الله حق معرفته[٤٧].

ولو رجعنا الى فكر الوهابية و مؤسسهم (ابن تيمية) لوجدنا انهم يؤمنون بالتجسيم ، ولم يسلبوا الصفات الجسمية عنه بل يثبتوها له ، فمثلاً يرى ابن تيمية ان رفع اليدين في الدعاء دليل على ان الله تعالى في السماء [٤٨] .

حيث يسعى لإظهار البراءة من التجسيم فغاية ما يراه ان ما ينسبه الى الله تعالى من الجوارح ، كايد و الرجل و الوجه ، لا يصح تشبيهه بجوارح المخلوقات ، بل يجب القطع بأن الله تعالى ليس كمثل شيء ، وانما يجب اثبات هذه الجوارح وما ينصبها من صفات كالاستواء على العرش ونحوه مع عدم وصف الكيفية [٤٩].و الحقيقة ان هذا هو التشبيه بعينه ، فهو يثبت الاعضاء و الاجزاء كالتي للإنسان ، الا انه يقول هذا لا يشبه هذا [٥٠].

المبحث الثالث
التوحيد في الخالقية والربوبية

المطلب الأول
التوحيد في الخلقية

يدل العقل بوضوح على أنّه ليس في الكون خالق أصيل إلّا الله سبحانه ، وأنّ الموجودات الإمكانية مخلوقة لله تعالى ، وما يتبعها من الأفعال والآثار ، حتى الإنسان وما يصدر منه ، مستندة إليه سبحانه بلا مجاز وشائبة عناية ، غاية الأمر أنّ ما في الكون مخلوق له إمّا بالمباشرة أو بالتسبيب وذلك لما عرفت من أنّه سبحانه هو الواجب الغني ، وغيره ممكن بالذات ، ولا يعقل أن يكون الممكن غنيًا في ذاته وفعله عن الواجب ، فكما أنّ ذاته قائمة بالله سبحانه ، فهكذا فعله ، وهذا ما يعبّر عنه بالتوحيد في الخالقية ومن عرف الممكن حقّ المعرفة وانّه الفقير الفاقد لكلّ شيء في حدّ ذاته ، يعد المسألة بديهيّة[٥١].

اولاً: المذاهب الكلامية في هذه المسألة : إنّ من الأُصول المسلَّمة عند أهل الحديث وتبعهم الإمام الأشعري انّ أفعال العباد مخلوقة للّه سبحانه وليس للإنسان أيُّ دور في إيجاد أفعاله وإنشائها، بل كلّ ما في الكون من الجواهر والأعراض مخلوق للّه سبحانه بالمباشرة، وليس بينه سبحانه و عالم الكون أيّ واسطة في الإيجاد والإفاضة حتّى على نحو الظلّية والتبعيَّة ولو بإذن اللّه سبحانه وبعبارة أُخرى ليس في صفحة

الوجود مؤثّر أصلي وتبعي، ذاتي وظلّي إلاّ اللّه سبحانه، وهو تعالى اسمُه، قائم مكان عامّة العلل التي تتصوّرها الفلاسفة والمتكلّمون ـ وأخصُّ بالذكر علماء الطبيعة ـ عللاً مؤثّرة ولو بإذنه تعالى ولا يشذُّ منه فعل الإنسان فهو مخلوق للّه سبحانه، خلقاً مباشرياً ويعبّر عنه بـ(خلق الأعمال(أو)خلق الأفعال((٥٢) قد انتقل الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٢٦٠ـ ٣٢٤هـ) من الاعتزال ـ بعد ما قضى أربعة عقود من عمره فيه ـ إلى منهج أهل السنّة وبالأخص منهج الإمام أحمد ابن حنبل (١٦٤ـ ٢٤١هـ)، وقد دخل جامع البصرة وارتقى كرسياً ونادى بأعلى صوته: (أيّها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا فلان بن فلان; كنت أقول بخلق القرآن، وانّ اللّه لا تراه الأبصار، وانّ أفعال الشر أنا أفعلها; وأنا تائب مقلع، معتقد للرد على المعتزلة مخرج لفضائحهم ومعايبهم)(٥٣).

ولأجل التعرف على حقيقة التوحيد في الخالقية بالمعنى الذي تبنّاه الإمام الأشعري نأتي بنص توضيحي.

قال الشيخ الأشعري في الباب الثاني من كتاب(الإبانة) في عقائد أهل الحديث: (إنّه لا خالق إلاّ اللّه، وإنّ أعمال العبد مخلوقة للّه ومقدورة)(٥٤) .

كما قال ﴿: وَاللّهُ خَلَقَكُمْ وَما تعمَلُون) (٥٥) ﴾ وانّ العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً وهم يُخْلَقون، كما قال سبحانه ﴿ هل مِنْ خالِق غَيرُ اللّه﴾ (٥٦).

ثانياً : التفسير الصحيح للتوحيد في الخالقية : إنّ المقصود من حصر الخلقية بالله تعالى هو الخلقية على سبيل الاستقلال وبالذات ، وأمّا الخلقية المأذونة من جانبه تعالى فهي لا تنافي التوحيد في الخلقية كما انّ المراد من السببية الإمكانية (اعم من الطبيعية وغيرها) ليست في عرض السببية الإلهية ، بل المقصود انّ هناك نظاماً ثابتاً في عالم الكون تجرى عليه الآثار الطبيعية والأفعال البشرية فلكلّ شيء أثر تكويني خاصّ ، كما أنّ لكلّ أثر وفعل مبدأً فاعلياً خاصّاً ، فليس كلّ فاعل مبدأً لكل فعل ، كما ليس كلّ فعل وأثر صادراً من كل مبدأ فاعلي (٥٧) ، كل ذلك بإذن منه سبحانه ، فهو الّذي أعطى السببيّة للنار كما أعطى لها الوجود فهي تؤثّر بإذن وتقدير منه سبحانه هذا هو قانون العليّة العامّ الجاري في النظام الكوني الّذي يؤيّده الحسّ والتجربة وتبتني عليه حياة الإنسان في ناحية العلم والعمل. (٥٨) ، وبهذا البيان يرتفع التنافي البدئي بين طائفتين من الآيات القرآنية .

الطائفة الدالّة على حصر الخالقية بالله تعالى ، والطائفة الدالّة على صحّة قانون العلّية والمعلولية واستناد الآثار إلى مبادئها القريبة ، والشاهد على صحّة هذا لفيف من الآيات وهي الّتي تسند الآثار إلى أسباب كونية خاصة وفي عين الوقت تسندها إلى الله سبحانه ، وكذلك تسند بعض الأفعال إلى الإنسان أو غيره من ذوى العلم والشعور ، وفي الوقت نفسه تسند نفس تلك الأفعال إلى مشيَّته سبحانه ، و

فيما يلي نماذج من هذه الطائفة :

١ . انّ القرآن الكريم أسند حركة السحاب إلى الرياح وقال : ﴿ اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً ﴾[٥٩] .

كما أسندها إلى الله تعالى وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً﴾ [٦٠].

٢- القرآن يسند الإنبات تارة إلى الحبّة ويقول﴿ :أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ﴾ [٦١].

ثالثاً : التوحيد في الفاعلية وقبائح الافعال : التوحيد في الخالقية وقبائح الأفعال ربّما يقال : الالتزام بعمومية خالقيته تعالى لكلّ شيء يستلزم إسناد قبائح الأفعال إليه تعالى ، وهذا ينافي تنزُّهه سبحانه من كلّ قبح وشين.

والجواب : أنّ للأفعال جهتين ، جهة الثبوت والوجود ، وجهة استنادها إلى فواعلها بالمباشرة ، فعنوان الطّاعة والمعصية ينتزع من الجهة الثانية ، وما يستند إلى الله تعالى هي الجهة الاولى ، والأفعال بهذا اللحاظ متّصفة بالحسن والجمال ، أي الحسن التكويني.

وبعبارة أخرى يمكن القول عنوان الحسن والقبح المنطبق على الأفعال الصادرة عن فاعل شاعر مختار ، هو الّذي يدركه العقل العملي بلحاظ مطابقة الأفعال لأحكام العقل والشرع وعدمها ، وهذا الحسن والقبح يرجع إلى الفاعل المباشر للفعل نعم أصل وجود الفعل ـ مع قطع النظر عن مقايسته إلى حكم العقل أو الشرع ـ يستند إلى الله تعالى وينتهي إلى إرادته سبحانه ، والفعل بهذا الاعتبار لا يتّصف بالقبح ، فإنّه وجود والوجود خير وحسن في حدّ ذاته [٦٢].

قال سبحانه : ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [٦٣] .

وقال ﴿ اللهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ [٦٤]﴾.

فكلّ شيء كما أنّه مخلوق ، حسن ، فالخلقة والحسن متصاحبان لا ينفكّ احدهما عن الآخر اصلاً.

المطلب الثاني : التوحيد في الربوبية :

ان كلمة الربّ في لغة العرب بمعنى المتصرّف والمدبّر والمتحمّل أمر تربية الشيء ، وحقيقة التدبير تنظيم الأشياء وتنسيقها بحيث يتحقّق بذلك مطلوب كل منها وتحصل له غايته المطلوبة له ، وعلى هذا فحقيقة تدبيره سبحانه ليست الّا خلق العالم وجعل الأسباب والعلل بحيث تأتي المعاليل والمسبّبات دبر الأسباب وعقيب العلل ، فيؤثّر بعض أجزاء الكون في بعضهم الآخر حتّى يصل كلّ موجود إلى كماله المناسب وهدفه المطلوب يقول سبحانه ﴿:رَبُّنَا الَّذِي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى﴾ [٦٥].

أولاً : حقيقة الربوبية والتدبير : هو الاعتقاد بأنّ تدبير العالم الإمكاني بيد الله سبحانه وأمّا الأسباب والعلل الكونية فكلّها جنود له سبحانه يعملون بأمره ويفعلون بمشيئته[٦٦]. وقد صرّح القرآن الكريم على أن هناك مدبّرات لأمر العالم بإذنه تعالى ، قال سبحانه ﴿ فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً﴾[٦٧]

ويقابله الشرك في الربوبية وهو تصور أنّ

هناك مخلوقات لله سبحانه لكن فوّض إليها أمر تدبير الكون ومصير الإنسان في حياته تكوينًا وتشريعًا وهاهنا نكتة يجب التنبيه عليها وهي أنّ الوثنيّة لم تكن معتقدة بربوبيّة الأصنام الحجريّة والخشبيّة ونحوها بل كانوا يعتقدون بكونها اصناما للآلهة المدبّرة لهذا الكون ، ولمّا لم تكن هذه الآلهة المزعومة في متناول أيديهم وكانت عبادة الموجود البعيد عن متناول الحسّ صعبة التصور عمدوا إلى تجسيم تلك الآلهة وتصويرها في أوثان وأصنام من الخشب والحجر وصاروا يعبدونها عوضًا عن عبادة أصحابها الحقيقية وهي الآلهة المزعومة. (٦٨)

ثانيًا : دلائل التوحيد في الربوبية

١ . تدبير الكون لا ينفكّ عن الخلق إنّ النكتة الأساسية في خطأ المشركين تتمثّل في أنّهم قاسوا تدبير عالم الكون بتدبير أُمور عائلة أو مؤسَّسة وتصوّروا أنّهما من نوع واحد ، مع أنّهما مختلفان في الغاية ، فانّ تدبير الكون في الحقيقة إدامة الخلق والإيجاد (٦٩). ويمكن القول أنّ كلّ فرد من النظام الكوني بحكم كونه فقيراً ممكنًا فاقداً للوجود الذاتي ، لكن فقره ليس منحصرا في بدء خلقته بل يستمرّ معه في بقائه وعلى هذا ، فتدبير الكون لا ينفكّ عن خلقه وإيجاده ، فالتدبير خلق وإيجاد مستمرّ.

فتدبير الوردة مثلاً ليس إلّا تكوّنها من المواد السُّكرية في الأرض ثمّ توليدها الأوكسجين في الهواء إلى غير ذلك من عشرات الأعمال الفيزيائية والكيميائية في ذاتها وليست كل منها إلّا شعبة من الخلق ، ومثلها الجنين مذ تكوّنه في رحم الأُم ، فلا يزال يخضع لعمليّات التفاعل والنموّ حتى يخرج من بطنها ، وليست هذه التفاعلات إلّا شعبة من عمليّة الخلق وفرعًا منه.

٢ . انسجام النظام واتصال التدبير إنّ مطالعة كلّ صفحة من الكتاب التكويني العظيم يقودنا إلى وجود نظام موحَّد وارتباط وثيق بين أجزائه ، ومن المعلوم أنّ وحدة النظام وانسجامه وتلائمه لا تتحقّق إلّا إذا كان الكون بأجمعه تحت نظر حاكم ومدبِّر واحد ، ولو خضع الكون لإرادة مدبِّرين لما كان من اتصال التدبير وانسجام اجزاء الكون أيّ اثر ، لانّ تعدّد المدبّر والمنظِّم - بحكم اختلافهما في الذات أو في الصفات والمشخصات - يستلزم بالضرورة الاختلاف في التدبير والإرادة ، وذلك ينافي الانسجام والتلائم في أجزاء الكون (٧٠). فوحدة النظام وانسجامه كاشف عن وحدة التدبير والمدبّر وإلى هذا يشير قوله سبحانه ﴿لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتا﴾ (٧١).

وهذا الاستدلال بعينه موجود في الأحاديث المروية عن أئمة اهل البيت عليهم السلام يقول الامام الصادق (ع) : (دلّ صحّة الأمر والتدبير وائتلاف الأمر على انّ المدبّر واحد) . (٧٢)

المبحث الرابع
التوحيد في العبادة

يعد التوحيد من صلب العقيدة الاسلامية والمحور الذي تتمحور حوله الاصول والمفاهيم الاسلامية وتبعًا للأهمية

الفائقة للتوحيد جهر المتكلمون في البرهنة والاستدلال عليه في مقدمة كتبهم مستخدمين مختلف الأدلة والبراهين الفلسفية والوجدانية والعلمية كبرهان (الإمكان الماهوي) ، وبرهان الحدوث وبرهان النظم وغيرها من البراهين الأخرى .ويجب على كل مسلم الاعتقاد بان الله واحد لا شريك له ولا نظير وقد تعددت الطرق التي تدل على وحدانية الله سبحانه حتى قال عنها الصادق (ع) : (والطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق) [٧٣] .

اولاً : حقيقة العبادة :

وتتضح حقيقة العبادة من خلال الدليل الذي قدمه علماء الكلام والإلهيات حيث حصروا أهم الأدلة .

الدليل الفلسفي :- يقول السيد الحائري اننا لا نتصور شيئًا بعد فرض كون الماهيات اعدامًا وحدوداً للوجوديات إلا الوجود المستقل والوجود التبعي والعدم ولا يتصور وجود تبعي إلا تبعًا للوجود الذاتي لان الوجود التبعي عين الربط والوجود المستقل عين الوجود بذاته لا يدخله العدم ويكون واجب الوجود ، والوجود المستقل والذاتي يطرد لا محال كل حد من الحدود لان الحدود انما تكون بلحاظ ما يقابل الوجود من العدم [٧٤] .

ويتضح مما تقدم انه ينتهي بالضرورة الى طرد الشريك واستحالة تعدد واجب الوجود ؛ إذ لو تعدد لشكل كل واحد منهما حداً للآخر لان احدهما يجب ان ينتهي منذ أن يبدأ الآخر ، نعم الوجود التبعي . وهم المخلوقات لا يشكل حدا لوجود الخالق ؛ لان وجود الخالق وجود ذاتي وعيني مستقل وهو يختلف سنفًا عن الوجود التبعي فانتفاء الوجود التبعي المخلوق لا يحقق امتداداً لوجود الخالق إذ لو كان يحقق نفي الوجود التبعي امتداداً لوجود الخالق لكان هذا الامتداد وجوداً تبعيًا وهذا خلفٌ فكذلك ثبوت الوجود لتبعي لا يحقق حداً لوجود الخالق ؛ وعليه فالتوحيد الذاتي بمعنى نفي تعدد واجب الوجود يكون من لوازم وجوب الوجود وذاتيته واستقلاله [٧٥].

الدليل العلمي :- ونجد استدلال على ما تقدم اذ لم يغفل المتتبع للنص القرآني هذه الآيات ومنها قوله ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [٧٦] .

وكذلك قوله تعالى ﴿اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ۝ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [٧٧] .

وايضا قوله تعالى ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلا ﴾ [٧٨]

ثانيًا : معنى التوحيد في العبادة :

اتفق علماء الإسلام على ان التوحيد هو من اصول الدين الخمسة وذكر العلماء الاعلام ان التوحيد هو أول الأصول حسب الترتيب في الاعتقاد والأهمية واصول الدين

الخمسة هي (التوحيد ، النبوة ، المعاد) وهذا ما ذهب إليه الأمامية ونقصد بالتوحيد هو نفي الشريك عن الباري جل وعلا (٧٩)

كما في قوله تعالى ﴿ لْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۞اللهُ الصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۞ ﴾[٨٠].

والتوحيد هو الاعتقاد بان صفاته عين ذاته غير زائدة عليه [٨١] . كما في قول امير المؤمنين (عليه السلام) : (وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وشاهدة كل موصوف انه غير الصفة فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزأه ومن جزأه فقد جهله ومن جهله فقد أشار اليه ومن أشار اليه فقد حده ومن حده فقد عده) [٨٢] . ويجب ان يعتقد المسلم بان الذي يستحق العبادة والطاعة هو الله سبحانه وحده لا غير ، كما في قوله تعالى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [٨٣]. كما ينقل عن الخاجوئي في التوحيد ان يرى الموحد كل قدرة مستخرجة في قدرته الكاملة ، وكل علم مضمحل في جنب علمه الشامل وان يرى كل كمل لمعة من عكس كماله تعالى [٨٤]. فالإيمان قمة الاعتقاد وبالشيء ومن يتوافر فيه ذلك يسمى مؤمنا وحين يتوحد المؤمن مع معتقده يقدم نفسه قربانًا من اجل ذلك لان رؤيته تكون صحيحة بانه سلك طريق الحقيقة الذي ينبغي ان يسلك ، وان الباعث الرئيس للأيمان هو الشخصية ذات المعاني التاريخية والدلالية والسياسية والدينية [٨٥]. فالتوحيد في العبادة رمزيته بينة جداً وهو فريضة عبادية متفرقة في الرمزية في البدء والمنتهى ومن لم يلتفت لعمق رمزيتها يكون قد فاته من الخير الكثير وبقدر الالتفات لرمزيتها وجوداً ومراتب يكون تحصيل الكمال وان التوحيد ليس امرا ادعائيا او ترفيا انما هو حقيقة راكزه وموغلة في عمق التشريع وهو ابلغ اساليب الجذب نحو تحصيل الكمالات المطلقة وان العبادة وما يلحق بها تعمق لنا فكرة التوحيد فهي بالغة العمق والتأثير فالإنسان ابن التوحد لا التشتت ولكنه في مسيرته البحثية عانى من التشرذم والتشتت ، فلا بد له من موحد يلم شتاته [٨٦] .

يجب توحيد الله تعالى من جميع الجهات بانه واحد في ذاته ووجوب وجوده وان صفاته عين ذاته فهو في العلم والقدرة لا نظير له وفي الخلق والرزق لا شريك له وفي كل كمال لا ند له فيجب توحيده في العبادة فلا تجوز عبادة غيره بوجه من الوجوه وكذا اشراكه في العبادة في أي نوع من انواع العبادة واجبة او غير واجبة في الصلاة وغيرها من العبادات . ومن اشرك في العبادة غيره فهو مشرك كمن يرائي في عبادته ويتقرب الى غير الله تعالى [٨٧] .

فإن الإنسان يستطيع ان يعبد ربه باي اتجاه كان لأنه سبحانه مطلق لا تجده حد البتة ، ولكنه سوف يعيش حالة تشرذم جديدة ، فلا بد من التوحد في كل شيء ليعيش الانسان في ظل الوحدة للوحدة [٨٨] .

الخاتمة

توصل البحث الى ما يأتي :

١-التوحيد في العبادة رمزيته بينة جداً وهو فريضة عبادية متفرقة في الرمزية في البدء والمنتهى ومن لم يلتفت لعمق رمزيتها يكون قد فاته من الخير الكثير وبقدر الالتفات لرمزيتها وجوداً ومراتب يكون تحصيل الكمال.

٢- يعد التوحيد من صلب العقيدة الاسلامية والمحور الذي تتمحور حوله الاصول والمفاهيم الاسلامية وتبعاً للأهمية الفائقة للتوحيد جهر المتكلمون في البرهنة والاستدلال عليه.

٣-أنّ للأفعال جهتين ، جهة الثبوت والوجود ، وجهة استنادها إلى فواعلها بالمباشرة ، فعنوان الطّاعة والمعصية ينتزع من الجهة الثانية ، وما يستند إلى الله تعالى هي الجهة الاولى ، والأفعال بهذا اللحاظ متّصفة بالحسن والجمال ، أي الحسن التكويني.

٤-انّ المراد من السببية الإمكانية (اعم من الطبيعية وغيرها) ليست في عرض السببية الإلهية ، بل المقصود انّ هناك نظاماً ثابتاً في عالم الكون تجرى عليه الآثار الطبيعية والأفعال البشرية فلكلّ شيء أثر تكويني خاصّ ، كما أنّ لكلّ أثر وفعل مبدأً فاعلياً خاصّاً ، فليس كلّ فاعل مبدأً لكل فعل ، كما ليس كلّ فعل وأثر صادراً من كل مبدأ فاعلي.

الهوامش

١-ينظر لسان العرب ، بن منظور الأنصاري ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ٥/ ٢٧.

٢- ينظر : التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٧٦.

٣-ينظر العين ، الخليل بن احمد الفراهيدي ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ،٤/ ١٨٨.

٤- التعريفات ، ٢١٢.

٥-ينظر الإلهيات ، الشيخ جعفر السبحاني ، دار الرضا ، قم المقدسة ، ايران ، ٣/ ٧٧

٦- سورة البقرة : ١٧٢

٧- تفسير الطبري، المسمى جامع البيان في تأويل القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(ت ٣١٠هـ) دار الفكر، بيروت ، لبنان ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ، ٣/ ١٢٢.

٨ - الإمامة وعلم الكلام ، الشيخ علي الميلاني ، دار آزادي ، ايران ، ط١، ٣٢٣.

٩ - المصدر نفسه ، ٣٢٣-٣٢٤.

١٠ - ينظر : الإمامة ، كمال الحيدري ، دار الجواد ، قم المقدسة ، ايران ، ط٢، ٥٥.

١١ - ينظر : الإمامة ، ٥٥.

١٢ - ينظر : تاريخ نجد ، محمود شكري الألوسي ، عنى بتحقيقه والتعليق عليه محمد بهجة الأثري ، د. ط ، د. س ، ٧.

١٣ -ينظر : تاريخ الوهابيين، ايوب صبري ،دار قرق أنبار، اسطنبول، ١٢٩٦ ه،١١-١٢.

١٤-ينظر : الوهابية في الميزان ، الشيخ

جعفر السبحاني ، دار آزادي ، قم ، ايران ، ط٢ ، ٢٠٠٥ ، ٢٤.
١٥- ينظر : تاريخ نجد ، ٣٠.
١٦ -الطريحي، فخر الدين،مجمع البحرين،تحقيق:احمد الحسيني،نشر المكتبة المرتضوية،ط،١، ١٣٦٢،
١٧ -المظفر ،محمد رضا ،عقائد الفقة ، معراج ، قم ٠
١٨- الشهرستاني ، محمد بن الكريم ، الملل والنحل ، تحقيق: دار المعرفة ، ط١ ، بيروت ،١٤٠٤ .
١٩- الخوئي ،مناهج الصالحين ،دار الكتب ،بيروت ،ط٢٩.
٢٠ - كتاب مائة و ثمانون سؤالا و جوابا؟ لجماعة من العلماء.
٢١ - العقيدة في عشرة دروس ، رياض الحكيم ، دار الوحدة ، بيروت : ٤ – ٥ .
٢٢ - عقائد الامامية ، الشيخ محمد رضا المظفر ، مطبعة الآداب ، النجف الاشرف ، ط١ ، ١٩٧٦م : ٢٣ .
٢٣ - المصدر نفسه : ٢٣ .
٢٤ - كتاب التوحيد ، محمد بن عبد الوهاب ، وكتاب القول السديد في مقاصد التوحيد ، عبد الرحمن السعيدي ، مجموعة التحف النفائس ، ط١ ، ١٩٩٦ م: ١٩.
٢٥ - العقيدة في عشرة دروس : ١٨ .
٢٦ - العقيدة في عشرة دروس : ١٩ .
٢٧ - المصدر نفسه : ١٩ .
٢٨ - التوحيد بحوث تحليلية في مراتبه ومعطياته ، كمال الحيدري ، دار الجواد ، قم ، ط١ : ١ / ٤٩ .
٢٩ - الرحمن / ٢٧ .
٣٠ - التوحيد بحوق تحليلية : ١ / ٥٠ .
٣١ - ابن تيمية في صورته الحقيقية ، صائب عبد الحميد ، الغدير ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٧م : ١٥ .
٣٢ - عقائد الإمامية : ٢٥ .
٣٣ - ينظر : دروس في العقيدة الاسلامية ، محمد تقي مصباح اليزدي ، دار الرسول ، ط٨ ، ٢٠٠٨م : ١ / ٨٤ .
٣٤ - دروس في العقيدة الاسلامية: ١ / ٨٤.
٣٥ - التوحيد ، كمال الحيدري ، دار فراقد ، قم المقدسة ايران ، ط٢ : ١ / ٧٥ .
٣٦ - المصدر نفسه : ١ / ٧٦ .
٣٧ - ابن تيمية حياته عقائده ، صائب عبد الحميد ، الغدير ، بيروت ، لبنان :١١٤ .
٣٨ - ينظر : ابن تيمية حياته عقائده: ١١٤.
٣٩ - ينظر : المصدر نفسه : ١١٤ .
٤٠ - دروس في العقيدة الاسلامية: ١ / ٩٤.
٤١ - دروس في العقيدة الاسلامية: ١ / ٩٤.
٤٢ - عقائد الأمامية : ٢٦ .
٤٣ - عقائد الأمامية: ٢٦ .
٤٤ - دروس في العقيدة الاسلامية: ١ / ٨٤.
٤٥ - المصدر نفسه : ١ / ٨٤ – ٨٥ .
٤٦ - دروس في العقيدة الاسلامية: ١ / ٨٥.
٤٧ - ينظر : المصدر نفسه : ١ / ٨٥ .
٤٨ - ينظر ابن تيمية عقائد حياته : ١٢٤ .
٤٩ - المصدر نفسه : ١٢٩ – ١٣٠ .
٥٠ - المصدر نفسه : ١٣٠ .
٥١ - ينظر المنهج الروائي ، كمال الحيدري ، دار فراقد ، قم ، ايران ،ط١، ٣٢.
٥٢ - أجود التقريران ، أبو القاسم الخوري

، مكتبة المصطفوي ، قم المقدسة ، ٣٢
٥٣ - ينظر : الوعد والوعيد عند المعتزلة ، د. حسين كاظم الخالدي ، دار اليازوري ، الاردن ، ط١، ٢٠٠٧، ٣٢.
٥٤ - وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، ابن خلكان(ت٦٨١)، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، ، ١٩٧٠.:٣/ ٢٨٥
٥٥ - سورة الصافات : ٩٦.
٥٦ - سورة فاطر : ٣.
٥٧ - ينظر : عقائد الامامية ، ٤٣.
٥٨ - الأحكام السلطانية ، الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ، دار الفكر ، بيروت ، ٤٣.
٥٩ - سورة الروم : ٤٨.
٦٠ - سورة النور : ٤٣.
٦١ - سورة البقرة : ٢٦١.
٦٢ - الأحكام السلطانية ، الماوردي ،ابوحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي،دار الفكر،بيروت،٦٥
٦٣ - سورة السجدة : ٧.
٦٤ - سورة الزمر : ٦٢.
٦٥ -سورة الزمر : ٣١.
٦٦ - بحوث في الملل والنحل ، جعفر،السبحاني ، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ، قم المقدسة ، ٤٣/ ١٢٢.
٦٧ - سورة طه : ٥٠.
٦٨ -تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد ، محمد بن النعمان،المفيد، محمد بن محمد بن النعمان ، انتشارات الرضي ، قم المقدسة. ، ٢/ ٥٤٣
٦٩ -تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد، محمد بن النعمان،انتشارات الرضي،قم المقدسة،٥٤٣-٥٤٤
٧٠ - تاريخ المذاهب الإسلامية ، أبو زهرة ، محمّد ، دار الفكر العربي ، قاهرة ، ١٩٨٩ م ، ٤٣.
٧١ - تاريخ المذاهب الإسلامية ، ٤٥.
٧٢ - ينظر : عقائد الامامية ، ٥١.
٧٣- بحار الانوار ، محمد باقر المجلسي ، دار احياء التراث العربي ، لبنان ، ٦٤/ ١٣٧.
٧٤- اصول الدين ، كاظم الحائري ، دار التفسير، مطبعة شريعة ، ط ، ١٤٢٤هـ ، ٩٢.
٧٥- المصدر نفسه ، ٩٢.
٧٦- سورة الملك ، ٣-٤.
٧٧- سورة الانبياء ، ٢١-٢٢.
٧٨- سورة الاسراء ، ٤٢.
٧٩- التعريفات ، ١٣٣.
٨٠- سورة الاخلاص ، ١-٤.
٨١- الاصول ، ١٠١.
٨٢- نهج البلاغة ، الامام علي بن ابي طالب ، شرح ابن ابي الحديد ، دار الكتب العلمية ، ط٣ ، ٢٠٠٣ ١-١٥.
٨٣- سورة الفاتحة ، ٥.
٨٤- الامامة ، كمال الحيدري ، دار فراقد المقدسة ، ايران ، ٥٢.
٨٥- ملتقى الطف العلمي والثقافي في الدولي الثاني ، الابعاد الانسانية لثورة الحسين (ع) ، الاستاذ الدكتور خليل شاكر ، ٢٠١١ ، ١/ ١٧٣.
٨٦- المنهج التفسيري ، ١٤٦-١٤٧.
٨٧- عقائد الامامية ، ٥٠.
٨٨- المنهج التفسيري ، ١٤٨.

المصادر و المراجع

القران الكريم

١. ابن تيمية حياته عقائده ، صائب عبد الحميد ، الغدير ، بيروتا ، لبنان

٢. ابن تيمية في صورته الحقيقية ، صائب عبد الحميد ، الغدير ، بيروت

٣. أجود التقريران ، أبو القاسم الخوري ، مكتبة المصطفوي ، قم المقدسة

٤. الأحكام السلطانية ، الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ، دار الفكر ، بيروت

٥. اصول الدين ، كاظم الحائري ، دار التفسير ، مطبعة شريعة

٦. ينظر الإلهيات ، جعفر السبحاني ، دار الرضا ، قم المقدسة ، ايران،٣/ ٧٧

٧. الامامة ، كمال الحيدري ، دار فراقد المقدسة ، ايران

٨. الإمامة وعلم الكلام، علي الميلاني ، دار آبادي ، ايران

٩. بحار الانوار ، محمد باقر المجلس ، دار احياء التراث العربي ، لبنان

١٠. بحوث في الملل والنحل ، جعفر، السبحاني ، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ، قم المقدسة،٤٣/ ١٢٢

١١. تاريخ المذاهب الإسلامية ، أبو زهرة ، محمّد ، دار الفكر العربي ، قاهرة ،١٩٨٩م،٤٣

١٢. تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد ، المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان ، انتشارات الرضي ، قم المقدسة،٢/ ٥٤٣

١٣. تفسير الطبري، المسمى جامع البيان في تأويل القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(ت ٣١٠هـ) دار الفكر، بيروت ، لبنان.

١٤. التوحيد بحوث تحليلية في مراتبه ومعطياته ، كمال الحيدري ، دار الجواد ، قم،ط١ :١ / ٤٩

١٥. التوحيد ، كمال الحيدري ، دار فراقد ، قم المقدسة ايران:١/ ٧٥

١٦. عقائد الامامية ، الشيخ محمد رضا المظفر ، مطبعة الآداب ، النجف الاشرف: ٢٥

١٧. العقيدة في عشرة دروس ، رياض الحكيم ، دار الوحدة ، بيروت،٤. ٥

١٨. ينظر العين ، الخليل بن احمد الفراهيدي ، دار صادر ، بيروت ، لبنان،٤/ ١١٤

١٩. كتاب التوحيد ، محمد بن عبد الوهاب ، وكتاب القول السديد في مقاصد التوحيد ، عبد الرحمن السعيدي ، مجموعة التحف النفائس

٢٠. بنظرة لسان العرب ، بن منظور الأنصاري ، دار صادر ، بيروت ، لبنان، ٥/ ٢٧

٢١. ملتقى الطف العلمي والثقافي في الدولي الثاني ، الابعاد الانسانية لثورة الحسين (ع) ، الاستاذ الدكتور خليل شاكر.،٢٠١١ ،١/ ١٧٣

٢٢. نهج البلاغة ، الامام علي بن ابي طالب ، شرح ابن ابي الحديد ، دار الكتب العلمية ط٣ ،٢٠٠٣، ١. ١٥

٢٣. وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، ابن خلكان(ت٦٨١)، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة،١٩٧:٣/ ٢٨٥

Monotheism in The Bond-age to God.

M . Dr. Ali Mahdi Reza
University of Kufa / College of Jurisprudence / Depart-ment of Doctrine and Thought

Summery

Monotheism in The Bondage to God.

Monotheism as the belief that there is only. One God who is one in it self and the necessity of its Existence, and that his attribute one expansively re-vealed as he is in knowledge and ability and has no partner in the creation and live hood. He is the only one to be wor-shipped and God is to Poly-theism is not permissible.

Bondage to Gog is to comply his order and a void, His pro-hibitions.